



المحاضرة الثانية

تعريف بعلم الجمال ونشأته عبر العصور:

من الوجهة التاريخية نجد ان التفكير في الجمال نشأ قديماً منذ العصر اليوناني حين بحث أفلاطون في فكرة الجمال وكيف تتمثل في الموجودات المحسوسة في الأعمال الفنية، وانتهى الى انها مثال خالد في عالم المثل او العالم الذي يفوق عالم الواقع .

كما بحث أرسطو في حقيقة الفن وانتهى الى ان الفنون الجميلة هي نوع من المحاكاة ولكنها محاكاة لا تتساوى بالنزعة الطبيعية او النقل الحرفي لما هو في الطبيعة بل محاكاة لما ينبغي أن يكون ، ثم ظل البحث في الجمال مستمرا بعد ذلك في تاريخ الفلسفة ومرتبطة بالتأملات الميتافيزيقية ، فتحدث (أفلوطين) عن الجمال العقلي وعن الجمال في العصور الوسطى بوصفه مظهراً للحق وجزء من علم الإلهيات أما الفنون التي تعرف بالفنون الجميلة فقد توزعت في تصنيفات العلماء ولم ينظر الى الموسيقى والشعر والتصوير والنحت والرقص على انها فنون في صنف واحد ، أي لم نعد جميلة إلا في القرن الثامن عشر عند (ديدرو) و(باتو) ولم تبدأ نقطة البحث في فلسفة للفنون الجميلة أو علم الجمال بمعنى البحث في التعبير ومقاييس الجمال وتدوقه إلا في القرن الثامن عشر عندما أطلق (باومجارتن) اسم استطيكا او علم الجمال على تلك الأبحاث التي تدور حول منطق الخيال .

ولم يتبق من مفهوم الفلسفة الحديثة إلا ثلاثة مباحث رئيسية تعتمد المنهج التأملي الفلسفي في دراستها وهي مبحث الوجود ومبحث المعرفة ومبحث القيمة الذي يشمل ثلاثة علم أساسية هي علم المنطق ويبحث في قيمة الحق وعلم الأخلاق ويبحث في قيمة الخير وعلم الجمال ويبحث في قيمة الجمال .

وتشير تسمية علم الجمال الى مجموعة الأبحاث والنظريات التي تعنى بتفسير الفن وتأثيرات الجمال في النفس الإنسانية التي نشأت عن فلسفة الجمال التي مرت بأطوار مختلفة حتى أصبحت اليوم علماً من العلوم الإنسانية يعرف بعلم الجمال .

علم الجمال في الفلسفة المعاصرة:

وإذا انتقلنا الى المسيحية فأنا نجد تمجيذا لا تحريما فقد ظهر في هذه الفترة روائع الفن العالمي خاصة في عصر النهضة الايطالية وتقن الرسامون في تزيين الكنائس والمعابد ورسم الصور المختلفة التي تصور الكفاح الديني.

أما فلسفة الجمال في العصر الحديث فتمتاز بتعدد المذاهب الفلسفية فيها والجمال عند (هيغل) هو التجلي المحسوس للفكرة اذ ان مضمون الفن ليس شيئا سوى الأفكار وان الصور التي يظهر عليها الأثر الفني تستمد بنيتها من المحسوسات وتتمثل بوضع الفكرة في مادة او صورة ، وتترتب الفنون متدرجة من المادية الى الروحية فهو يرى في العمارة أثقل الفنون وأكثرها صمما لأنه تشكل بحسب قوانين الوزن والثقل ، وهي تنتمي الى النمط الرمزي.

ويسمو (شوبنهاور) بالقيمة الجمالية ويضعها في أعلى مستوى يمكن ان يرقى اليه الإنسان ، وان فلسفته الجمالية مشتقة من مذهبه الفلسفي العام الذي يقرر ان العالم إرادة وتمثل ، والفنان مثله في هذا مثل الفيلسوف اذ انه يشاركه في عبقريته ومضمونها القدرة على التأمل الفلسفي ، والغاية من الفن عنه هي الوصول الى نوع من الفناء التام او (النارفانا) التي تتحقق إرادة الفنان عن طريقها من خلال إبداعه الفني ، وهو يضع الموسيقى في مقدمة الفنون لأنه تشكيل وعالم مستقل عن عالم الظواهر المحسوسة لانها تجسد قوانين الوجود لكنها لا تحاكي الوجود ، والفنون ليد تعلق وتهبط تبعا لارتباطها بالإرادة ، وتقف الموسيقى وحدها بعيد عن بقية الفنون ، فجميع الفنون تحكي التصور فهي نسخ عنه ، أما الموسيقى فهي الإرادة في ذاتها ، وتقوم فلسفة (كروتشه) على ان الفن عيان وحس ، بمعنى انه معرفة تخيلية ، فردية تنصب على الاشياء وتولد الصور والفن لديه تركيب جمالي اولي ، مؤلف من العاطفة والصورة على شكل حدس والمعرفة لديه وجدانية نحصل عليها عن طريق الخيال او معرفة منطقية نحصل عليها عن طريق العقل .

ومن الاتجاهات الفلسفية المعاصرة يمكننا ان نعول على فلسفة (سوزان لانجر) حيث اقترنت فلسفتها بالاتجاه الرمزي ، والفن لدى (لانجر) يحول الخبر الذاتية إلى



موضوع ندرکه إدراکا فنيا ويحول الموضوع الى خبرة ذاتي ، وترى لانجر ان الإدراك في الفن إدراکا حدسيا لا استدلاليا والعمل الفني يتميز بأنه رمز وليس إشارة او علامة متفق عليها ، فالفن رمز لا يشير الى معنى محدد ، وان الأعمال الفنية لها مضمون وجداني وتكشف عن نوع من التصورات المعرفية بهذا المضمون ، وان كل هذه العناصر هي التي تكون موضوعا للإدراك الحسي الذي يتدخل في تذوق الفنون ويزداد هذا الإدراك كلما كان الشكل أكثر تعبيراً .

الجمال لدى أرسطو:

مع أن (أرسطو) من تلاميذ أفلاطون حيث تلقى فلسفته بأكاديمية أفلاطون في أثينا ، وقد أطلق عليه أفلاطون (العقل) لقدراته العقلية الفائقة في عالم الفلسفة والسياسة والشعر والخطابة، وفلسفته وأن تشابهت مع فلسفة أستاذه (أفلاطون) فإنه قد اختلف معه في موضوع المثل والصور الأزلية فنحا بذلك منحا علميا وضعيا ، وهي اقرب منه الى العالم الحسي ونسبيته وتجربيته وبهذا ابتعد في فلسفته عن المنهج المثالي بشكله المتطرف لدى أفلاطون وهو يقول بصدد ذلك (أن أفلاطون لعزیز على قلبي ، لكن الحقيقة مع ذلك لأعز منه وأحب).

ومع اختلاف (أرسطو) مع آراء أستاذه (أفلاطون) الا انه يبقى في نهاية المطاف مثالية أفلاطونيا ، ففي موضوعة المحاكاة حيث يرى أفلاطون أن عالم المثل عالم أزلي وتعد صورة أزلية ثابتة غير متحركة لايشوبها التغيير أو التطوير وهي تمثل الكمال بذاته وما صور العالم الحسي ألا انعكاس لهذه الصور الأزلية في عالم المثل ، وتعد المحاكاة محاكاة المثل الأعلى حيث يرتبط فيها الجمال بعالم الآلهة .

في حين يرى أرسطو ان صور العالم الحسي أنما تعد انعكاس متمائل الصفات مع صور عالم المثل من حيث البناء والصفات وكلما كانت المقدرة العقلية للإنسان عالية كلما كانت رؤيته للموجودات الحسية فاحصة اقرب إلى الحقيقة ولذا فان محاكاة أرسطو محاكاة للجوهر وهي لاتقف بحدود النقل الآلي لمفردات الواقع إنما



على الفنان إن يحاكي الأشياء على النحو الذي يجب ان تكون عليه، المعرفة لدى أرسطو تكون من خلال إدراك الشي كأساس تكويني قبل إدراك ماهيته حيث ان المحسوسات لدى أرسطو موجودات حقيقية في الذهن والحقيقة المادية في ان واحد في حين يراها أفلاطون أشياء غير حقيقية الا في عالم الجواهر الأزلية وهو يدرك الماهية قبل الأشياء .

الجمال في الفكر الإسلامي:

يرتبط الفن الإسلامي بشكل أو بآخر بمرجعيات منها القران والسنة النبوية وأطروحات المفكرين المسلمين، وتأثر بعض هؤلاء المفكرين بالإرث الفلسفي الإغريقي فضلا عن مرجعيات تتمثل بالفكر الحضاري القديم، لدى الشعوب عموما التي وصل إليها الإسلام.

ابتعد الفنان المسلم عن المعالجات الحسية الأكاديمية معتمدا رؤية جمالية تستند إلى المرجعيات التي تم التتويه عنها في مقدمة الموضوع ، حيث تتسم هذه الرؤية بما هو شمولي وأنساني ، بل تتشد المطلق ممثلا بالحقيقة الإلهية ، مما دفع الفنان الى عدم معالجة نتاجاته الفنية معالجة تعتمد المحاكاة الطبيعية مبتعدا عن التجسيم والمنظور ، والفنان المسلم عندما ينتج أشكالا تحمل صور كائنات حية يرسمها بطريقة تجريدية تجعلها متقاربة في الحجم والأهمية وبنفس العناية والدقة في التنفيذ لإيمانه بان لها نفس في الوجود وهي على كثرتها وتنوعها تجسد قدرة خالقها الواحد ، فالاهتمام بالكثرة والتنوع ضمن الوحدة ، انعكاس لفكرة الوجود في الفكر الإسلامي ، فالموجودات كثيرة وهي تحصل على وجودها من فيض جوهر الله فيحصل كل موجود على قسطه الذي له من الوجود فمعالجته في تركيب الكائنات انعكاس لقدرة إلهية تتمثل في شواهد اعجازية متعددة ، وان رؤية الفنان المسلم رؤية روحية حدسية ذات صبغة صوفية .

المصدر: علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، دلال حمزة محمد